

معالم الرحمة  
في الدعوة إلى الله  
في القرآن الكريم  
” مع سورة الأعراف أنموذجاً “

إعداد:

أ. د. خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز القاسم



## مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
ومن سيئات أعمالنا.. أما بعد :

### أهمية البحث:

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء وأتباعهم ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ  
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] [يوسف:]  
وهي مهمة أمة محمد ﷺ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدين إنما يقوم بالدعوة إليه، والدعوة إلى الله إذا قامت كما يجب  
تأتي بالخير للبشرية جمعاء، وإذا قامت على خلاف منهج الله فإن آثارها  
تكون عكسية وتكون صداً عن سبيل الله .

ومنهج الدعوة يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن سمات  
الدعوة إلى الله التي ينبغي أن تكون في الدعاة دعوتهم الرحمة التي هي  
رسالة النبي ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

### هدف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن  
عموماً مع أخذ سورة الأعراف أنموذجاً، وما في السنة من المعاني القريبة.

## منهج البحث:

سأنهج في البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي من القرآن الكريم  
لآيات الرحمة في الدعوة إلى الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ .

## الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة لا تحصى في أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله  
في الكتاب والسنة أو ضمن صفات الأنبياء وخاصة النبي ﷺ أو صفات  
الدعاة، وفي هذا البحث سأقتصر على معالم الرحمة في القرآن في  
الدعوة إلى الله مع سورة الأعراف أنموذجًا، وهو لم يأت في الدراسات  
التي رأيتها واطلعت عليها .

## مشكلة البحث:

تتكرر آيات الرحمة في القرآن الكريم لا سيما في موضوع الدعوة إلى  
الله مع إعراض بعض الدعاة عن ذلك في دعوتهم .  
ويأتي هذا البحث لبيان أهمية الرحمة في القرآن الكريم وبيان  
معالمها، مع سورة الأعراف أنموذجًا .

## خطة البحث:

تمهيد في معاني الرحمة والدعوة إلى الله .  
المبحث الأول: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم .  
المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته  
بالدعوة .

المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم .

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية.

المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: رحمة النبي ﷺ.

المطلب السادس: رحمة الدعوة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف أنموذجاً.



## تمهيد معنى الرحمة

الرحمة في اللغة: الرقة والتعطف<sup>(١)</sup>.

الرحمة تقتضي الإحسان إلى المرحوم<sup>(٢)</sup>.

وهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه<sup>(٣)</sup>.

ومنها الرحم، لأن منها ما يكون يرحم ويرق له من ولد<sup>(٤)</sup>.

وهي بين الزوجين ﴿ وَمَنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا  
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (٢١)

[الروم: ٢١].

وأعظم رحمة تعريف الناس بربهم وخالقهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى والنجاة من عذابه في الآخرة، بل إسعادهم في الدنيا والآخرة.

كما أن المعرضين عنه المكذبين له الصادين عنه المقاتلين له يأمر الله بالشدّة معهم وقتالهم، وهذا فيه معنى من معاني الرحمة من حماية الدين وقهر الكفار حتى يدخلوا في الدين وتبيين لهم حقائقه..

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٥/٥٠. لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٢٣٠. معجم مقاييس اللغة،

ابن فارس، ٢/٤٩٨. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٨١٧.

(٢) انظر: مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، ١/٣٤٧.

(٣) التحرير والتتوير، ابن عاشور، ٢٦/٤٩٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٤٩٨.

”وغاية الصراع في الإسلام هي هداية البشرية ودلائتها على سعادتها في الدنيا والآخرة، وترغيبها في الخضوع لربها، وأن تعبد الله كما شرع. وأن تتبدد العداوات ويسيطر الحب والإخاء على قلوب الناس، وغاية الصراع عند أعداء الحق هي تحطيم البشرية وإضلالها عن الحق، وتجهيلها بربها، وتجهيلها بآخرتها دار القرار التي هي صائرة إليه، وإفشاء العداوات والأحقاد والفتن“<sup>(١)</sup>. وهذا غاية الرحمة.

## معنى الدعوة:

### الدعوة في اللغة:

مأخوذة من الدعاء وهو النداء. وتطلق في اللغة على التداعي ودعوة العرس، ودعاء الله والزعم والرغبة والطلب، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، والمؤذن داعي الله، والنبى ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، والدعوة قد تكون للحق أو للباطل ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]<sup>(٢)</sup>.

### الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: ”الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله“<sup>(٣)</sup>.

وقيل: ”السعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتناقه عقيدته وتنفيذ شريعته“<sup>(٤)</sup>.

(١) الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهرى، ١٢٢/٣. لسان العرب، ابن منظور ٢٦٨/٥.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ١٥٧/١٥.

(٤) انظر: الدعوة إلى الله، توفيق الواعى، ص ١٧.

والدعوة تشمل دعوة الكفار إلى الإسلام، وكذلك دعوة المسلمين إلى أحكام الصلاة ونحوها، ولذا فالأذان هو دعوة للمسلمين، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة"<sup>(١)</sup>.

"والمقصود بالرحمة في منهج دعوة الإسلام اشتمال الدين الإسلامي الحنيف على الرحمة والعطف بالخلق ودعوتهم بكل مسلك فاضل ومنهج الدعوة يشتمل على حقيقة الرحمة سواء في محتواه أو في طريق نشره"<sup>(٢)</sup>.

### أهمية الدعوة وفضلها:

وفضل الدعوة إلى الله عظيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٣) [فصلت].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

والدعوة وبلاغ الدين ووظيفة الأنبياء وأتباعهم، يأمر الله ﷻ فيه النبي ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) [يوسف].

والدعوة في أقل أحوالها فرض كفاية على أمة محمد ﷺ، وقد تتعين

- (١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم (٦١٤).
- (٢) منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجع السبائين، من موقعه على الإنترنت.
- (٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).



أحياناً عند وجود النقص وعدم الكفاية، قال ابن باز رحمته الله: دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله جل جلاله، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله ﷺ: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ومنها قوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] ومنها قوله ﷺ: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] ومنها قوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فبين ﷺ أن اتباع الرسول ﷺ هم الدعوة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير على منهاجه ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله جل جلاله فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعوة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقيين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقيين سنة مؤكدة، وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقيم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب: أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله جل جلاله بالطرق الممكنة، فإن الرسول ﷺ قد بعث الدعوة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك الرؤساء ودعاهم إلى الله جل جلاله (١).

فالمسلم يدعو إلى الله على بصيرة، ولا يشترط أن يكون من العلماء،  
(١) انظر: موقع الشيخ ابن باز بعنوان: حكم الدعوة إلى الله. وانظر أيضاً: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث والعلمية والافتاء بالسعودية عدد محرم ١٣٩٨هـ.

إنما يكفي أن يدعو بما يعلم أنه حق، فيدعو إلى لا إله إلا الله وإلى الصلاة وإلى الخير كما قال ﷺ: «وَالْعَصْرُ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)» [العصر: ١-٣].

وقد قال النبي ﷺ في حجة الوداع مخاطباً أكبر جمع رآه، والخطاب لجميع من آمن به: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(٢)</sup> وكان من مع النبي ﷺ يتحول إلى الدعوة من أول يوم كالصديق رضي الله عنه والطفيل الدوسي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.



(١) متفق عليه: البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»، برقم (٦٧).  
ومسلم، كتاب القسامة والمحرايين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

(٣) انظر قصته في ص ١٨ من هذا البحث.

## المبحث الأول معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

### المطلب الأول الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة

الرحمة من أعظم صفات الله، والله ﷻ هو أول داعي ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، وهو ﷻ الرحمن الرحيم، جاءت في أكثر آية ترددت في القرآن الكريم، وهي البسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] وفي الفاتحة التي تتردد في كل ركعة من ركعات الصلاة.

والداعي يدعو إلى الله الرحمن الرحيم. قال ابن عباس رضى الله عنهما: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرطبي، ١/١٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٤.

والرحمن لجميع الخلق، وقد عبر ﷺ في استوائه على العرش وهو أعظم مخلوقاته بالرحمن ليعم جميع خلقه، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والرحيم بالمؤمنين، قال ﷺ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فخصهم باسمه الرحيم<sup>(١)</sup>.

فرحمة الله وسعت كل شيء، وهي شاملة لجميع خلقه ومنهم الكفار، ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في سعة رحمة الله؛ قال ﷺ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ويقول ﷺ مبيناً سعة رحمته في دعاء ملائكته ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]. فبدءوا بالرحمة.

والرحمة وردت في القرآن الكريم في أكثر من (٤٠٠) موضع<sup>(٢)</sup>.

وفي الدعوة إلى التوحيد ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ترغيباً لهم.

والله ﷻ هو الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢] ورحمة الله سبقت غضبه ﷻ، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن رحمتي سبقت غضبي»<sup>(٣)</sup>، والله يأمر نبيه ﷺ بهذا الأمر ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

فالله ﷻ هو أرحم الراحمين.

﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٦.

(٢) وبحسب البحث في معجم المصحف عن كلمات الرحمة؛ وجد: رحيم: ١١٥، رحمة: ٢٠١، راحم: ٦، غير الرحمة في البسمة ١١٢ مرة دون الفاتحة كل مرة احتوت على كلمتين، ليكون الإجمالي ٢٢٢ + ١١٢ = ٤٣٤ مرة.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٢).

﴿ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[يوسف: ٩٢].

﴿ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[المؤمنون: ١٠٩].

﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٨].

والإسلام والهداية من رحمة الله ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾

[الفتح: ٢٥]، ﴿وَلَكِن يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

[الشورى: ٨]، ﴿يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١].

ورحمة الله هي سبب نجاة الإنسان وهدايته ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت

طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

وفضل الله ورحمته هي سبب هداية البشرية وعصمتها من الشيطان

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وهي خير من كل شيء ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ورحمة الله لا ممسك لها ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا

يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إن لله مائة رحمة أنزل منها

رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام، فيها يتعاطفون، وبها

يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة

يرحم بها عباده يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٢).

## المطلب الثاني

### الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم

المتأمل لآيات القرآن الكريم أنه ﷺ يعرض برحمته ﷻ للكفار والعصاة لترغيبهم في التوبة والدخول في رحمة الله ﷻ في آيات كثيرة، ومن ذلك تأتي رحمة الله في ترغيب الكفار للإسلام والتوبة ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٢].

ومع أهل الكتاب ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢] جاء بعدها ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ويأمر الله نبيه ﷺ بمخاطبة أسرى الكفار ودعوتهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وفي قصص الأنبياء ودعوة أقوامهم في سورة الشعراء، تتعدد الآيات الكريمات ثماني مرات<sup>(١)</sup> ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩٠] فهو ﷻ مع عزته وغلبته إلا أن رحمته باقية ﷻ في ثمان آيات بنفس اللفظ.

ومع الأعداء من الأزواج والأولاد ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، ومع ذلك يأتي التوجيه الرباني ﴿وَإِنْ تَعَفَوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وفي دعوة الكاذبين ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَلْبِي بِيَدِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨] وفي الرد على المفترين.

(١) سورة الشعراء الآيات: ٩/ ٦٨/ ١٠٤/ ١٢٢/ ١٤٠/ ١٥٩/ ١٧٥.

وفي خطاب المكذبين: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِرُّ الْأُولِينَ أَكْتَبْنَا فِيهَا فِي تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] يأتي التوجيه الرباني ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٠]. ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفتح: ١٤]. يأتي الترغيب بعد التهيب.

وفي دعوته للكفار يكرر ﷺ صفة الرحمن في آيات عديدة، ليتعرضوا لرحمته بالتوبة، وهي آيات دعوة ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (١٩) ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ [الملك: ١٩-٢٠].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ومع المنافقين: ﴿ لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وهذا التوجيه الرباني للنبي ﷺ في دعوته للمكذبين من اليهود ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرْدُّ بِأَسْفُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] فهو ﷺ يجمع بين الترغيب والتهيب، ومع أنهم يكذبونه إلا أن الله يأمره أن يخبرهم بسعة رحمة الله تعالى.

وها هو يرغب أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨] جاءت الرحمة والمغفرة في هذه الآية الكريمة.

وها هو المولى ﷺ في معرض تهديده للكفرة الصادين عن سبيل

اللَّهُ الْمُعَذِّبِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

يقول الحسن البصري رحمته الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا  
أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية

كتب السماء متضمنة للرحمة، وسبب نزولها هو رحمة الله بالناس،  
وقد ضمن صلى الله عليه وسلم سور القرآن الكريم بالبسملة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(١)</sup>  
[الفتحة: ١].

المتأمل لكلام الله صلى الله عليه وسلم يجد اقتران الهداية بالرحمة في آيات عديدة، ولا  
شك أن هذا المنهج يبين أهمية الرحمة في بيان الهدى وأكثر ما ورد في ذلك  
الكتب التي أنزلها الله، فهي نور ورحمة للناس وهي رحمة بهم تخرجهم من  
الظلمات إلى النور، قال صلى الله عليه وسلم عن التوراة: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ  
الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ويقول:  
﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٤] [الأنعام: ١٥٤] ويقول: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْنَا  
إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧] والقرآن رحمة ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ  
هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] ويقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ  
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ  
إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٧/٧.



بل إنه ﷺ يصف آيات القرآن ﴿المر (١)﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ [لقمان: ١-٣]. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُفْرًا مِن بَيْنِنَا مَن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتٍ أَنَّهُ صَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا إِينِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قال الزجاج: أي: هادياً ذا رحمة<sup>(١)</sup>، قال ﷺ: ﴿هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿فَقَدْ جَاءَ كُفْرًا مِن بَيْنِنَا مَن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

(١) انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (٢٢٦/٨).

قال ﷺ: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجمعة: ٢٠].

القرآن عبر عنه ﷺ بأنه تنزيل منه بصفة الرحمة ﴿ حَمْرٌ ١ ﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٢ ﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ ٢ ﴾ [فصلت: ١-٣].

وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب يشير إلى الصفة الغالبة في هذا التنزيل، وهي صفة الرحمة. وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم لا من الناس وحدهم، ولكن للأحياء جميعاً، فقد سن منهجاً ورسم خطة تقوم على الخير للجميع وأثر في حياة للبشرية<sup>(١)</sup>.

وفي سورة الرحمن: ﴿ الرَّحْمَنُ ١ ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿ ٢ ﴾ [الرحمن: ١-٢].

والقرآن العظيم: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٢ ﴾ ﴾ [فصلت: ٢].

وجاءت رحمته ﷺ بمعنى الهداية، قال ﷺ: ﴿ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءَ فِي رَحْمَتِهِ ﴾

[الشورى: ٨، الإنسان: ٣١]. ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [الفتح: ٢٥].

## المطلب الرابع

### رحمة الأنبياء في القرآن الكريم

الأنبياء هم أرحم الخلق بالخلق، وأكثرهم دعوة إلى الخالق، والقرآن الكريم مملوء بقصص الأنبياء، وما ذلك إلا ليقندي بهم النبي ﷺ كما قال ﷺ: ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

بل ليقندي بهم أمته كما قال ﷺ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٣١٠٨.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ [الشورى: ١٣].

فالله يأمر الأمة بما أمر به الأنبياء من توحيد الله والدعوة إليه وإقامة الدين.

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أمرنا الله باتباعه ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣] يدعو الله بالرحمة ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ تَوَّابٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ودعوة إبراهيم عليه السلام مليئة بالشفقة والرحمة، منها وهو يخاطب أباه بالرحمة ويقول له: ﴿ يَتَّابِتْ لِي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مریم: ٤٤-٤٥] ترغيباً له.

ويقول عليه السلام عن إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنَ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود: ٧٤].

من رحمة الأنبياء أنهم يحبون لهم الإيمان كما أنه يجلب لهم الخير في الدنيا ترغيباً لهم ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٤] ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢].

ومن رحمة الأنبياء الإحسان إلى الناس ودعوتهم بأعمالهم وأخلاقهم كما يدعونهم بأقوالهم، فهذا يوسف عليه السلام وهو في السجن يتألف الناس بالإحسان إليهم، وحتى كان مرجعاً لهم ولنتأمل هذه الآية الكريمة ﴿ وَدَخَلَ

مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ حَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ  
فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نُرْسِلُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [يوسف:

٢٦] قال ابن عثيمين: وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجد  
والإحسان، فصدقه الحديث، وحسن السميت، وكثرة والإحسان إلى أهل  
السجن، وعبادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم.

قال القرطبي رحمته الله: كان في السجن يعزي فيه الحزين، ويعود فيه المريض،  
ويداوي فيه الجرحى، ويصلي الليل كله واستأنس من أهل السجن، فكان  
إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف عليه السلام.

وأحبه صاحب السجن فوسع عليه، فيه ثم قال يا يوسف: لقد أحببتك  
حبا لم أحب شيئا حبك<sup>(١)</sup>.

وقد استثمر هذه الأخلاق الكريم لدعوتهم إلى الله ﴿يَصْحَبِ السِّجْنَ  
ءَآرِبَابٌ مَّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ  
سَمِيَتْهُمُوهَا أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا  
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وكان رسول الله ﷺ يقص على صحابته رحمة الأنبياء بأقوامهم، بل  
يحكيها لهم كأنهم يرونها، عن عبد الله بن مسعود قال: كآني أنظر إلى  
النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن  
وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون<sup>(٢)</sup>.

وسياتي ذكر الأنبياء ورحمتهم في سورة الأعراف بمشيئة الله تعالى.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨٩/٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ برقم (٦٩٢٩).  
ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم (١٧٩٢).

## المطلب الخامس

### رحمة النبي ﷺ في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>

رسالة النبي ﷺ طابعها وعنوانها الرحمة، كما أخبر ﷺ بيانه للنبي ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وكفى بهذه الآية بياناً للدعاة من بعده ولمن تبعه على بصيرة أن تتجلى في دعوتهم الرحمة بمن يدعوهم. وقال ﷺ: ﴿حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑤ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ١-٦]، والرحمة هو النبي ﷺ.

ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في وصف النبي ﷺ.

يقول ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ويقول ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو رحمة بهم وهو من أنفسهم وهو يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم.

وها هو ﷺ يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم إلى الإيمان بالنبي مبيناً هدايته وبعض صفات الرحمة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ⑩ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

(١) وفي هذا المبحث سنتوسع لنشمل الكتاب والسنة نظرًا لورود صفات الرحمة في سنته ﷺ.

وبين الله ﷻ صفة رسول الله ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَ لَهْمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول السعدي رحمه الله ﷻ تعليقا على الآية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وحباً لعباد الله لدين الله (١).

كما يأمر الله نبيه ﷺ بجواب المنافقين إنه رحمة ﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

كما كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية قومه ﴿فَلَا نَذْهَبَ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨] ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» (٢).

وعن جبير بن مطعم قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشِّرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» (٣).

ومن رحمته ﷺ وصيته بالرحمة:

عن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ١٥٤/١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٣٥/١ وابن سعد في الطبقات ١٩٢/١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، برقم (٣٥٢٢) ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، برقم (٦٢٥١).

سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»<sup>(١)</sup>.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلتها فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلتها بعد ما قال: لا إله إلا الله»؟! قلت: كان متعوذاً فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن القيم رحمته الله: تأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. كيف جمع ﷺ في هذه القامات أربع مقامات من الإحسان قابل به إساءتهم العظيمة له. أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي<sup>(٤)</sup>.

ومن رحمته ﷺ النهي عن الظلم حتى مع المخالف.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه

- (١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها برقم (١٧٣١).
- (٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩) ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قل لا إله إلا الله، برقم (٢٨٨).
- (٣) رواه البخاري، كتاب استنابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، برقم (٦٩٢٩).
- (٤) التفسير القيم، لابن القيم، دار مكتبة الهلال، ص ٦٥٤.

إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جثتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup>.

عن أبي عبد الله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»<sup>(٢)</sup>. فالنبي ﷺ في هذا الحديث ينهى عن ظلم الكفار. وهذا من رحمته ﷺ بهم.

ومن رحمته ﷺ امتناعه عن الدعاء على من عاداه وآذاه، بل وتفكره ﷺ في هداية من في الأضلاب.

جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، برقم (٤٣٤٨).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٢٥٧١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).



أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(١)</sup>.  
وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني  
لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمة»<sup>(٢)</sup>.

ومن رحمته ﷺ رفق به مخالفه. فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت:  
دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، قالت  
عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله  
ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول  
الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد قلت وعليكم»<sup>(٣)</sup>.

ومن رحمته ﷺ أمره بالتبشير والتيسير ونهيه ﷺ عن التعسير  
والتفجير، وهذا في مقام الدعوة والتعليم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:  
قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه  
وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين  
ولم تبعثوا معسرين»<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا  
ولا تنفروا»<sup>(٥)</sup>.

### ومن رحمته ﷺ رفق به بالشباب العصاة.

عن أبي أمامة قال: أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن  
لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال: «أدنه»، فدنا منه

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: أمين والملائكة في السماء: أمين فوافقت  
إحدهما الآخر عفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٢٢١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي  
النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٠٢٤) ومسلم برقم (٥٧٨٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم (٢٢٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم  
(٦٩) ومسلم برقم (٤٦٢٢).

قريباً قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك؟ قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم؟ قال: أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعمااتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما فعله الرسول ﷺ مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه فقد أسلم الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأمر بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله جل جلاله، فأبت عليه وعصت، وأبطأوا عليه، فجاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليهم فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكوا فقال: اللهم اهد دوساً وائت بهم اللهم اهد دوساً وائت بهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن رحمته ﷺ تجاوزه عن مخالفه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاة، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبيننا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي بين يديه فقال: «إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترطاً صلماً

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح ١٢٩/١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٧٢١٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٤٠/٦.

قال: من يمنعك مني؟ قلت الله. فشامه ثم قعد فهو هذا»، قال: ولم يعاقبه رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومن رحمته ﷺ فرحه بإسلام الكفار.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال: «له أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(٢)</sup>.

## المطلب السادس

### رحمة الدعوة في القرآن الكريم

بعد الحديث عن رحمة الأنبياء ورحمة نبينا محمد ﷺ وهو قدوتنا، وهذا بجد ذاته كاف لاقتداء كل مسلم به ﷺ، ولكن من المفيد ذكر بعض النصوص في فضل الرحمة والأمر بها، وأنها لا تختص بالأنبياء، بل هي حتى في أتباعهم.

الرحمة من الله، والرحمة يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقًّا رِعَايَتَهَا فَتَأْتِينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

بل إنه ﷺ يخبرنا أن النجاة بالتواصي بالرحمة ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾<sup>(١١)</sup>

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، برقم (٤١٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصل عليه، برقم (١٣٥٦).

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَيْنَمَا ذَا مَقَرَبَةٍ ﴿١٥﴾  
أَوْ مَسْكِنًا ذَا مَتَرَةٍ ﴿١٦﴾ ثَمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٧﴾  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِعْنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾  
[البلد: ١١-٢٠].

والله أتى على الخضر بالرحمة قبل العلم ﴿ فوجدًا عبدًا من عبادنا  
ءآينته رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا علماً ﴾ [الكهف: ٦٥].

وصاحب يس وهو يدعو قومه بالرحمة والشفقة كما قال ﷺ: ﴿ فوسوس  
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ  
إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾  
فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ  
وَنَادَيْتُمَا رَيْهَمَا أَنَّهُ كَمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْلُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾  
قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهبطُوا  
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا  
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي ءَادَمُ فَذُ أُنزِلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا يُوزِي سَوْءَ تَكْمَ وَرِدِيْشًا وَلِيَأْسَ  
الْتَّقْوَى ذَلِكُ حَيْرٌ ذَلِكُ مِنْ ءآيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِي ءَادَمُ لَا يَفْنَنَكُمُ  
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَأْسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ  
هُوَ وَفِيهِ، مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [يس: ٢٠-٢٧].

فتأمل الرحمة في دعوته من عدة وجوه:

أولاً: بقوله: (يا قوم) يتحببهم بقرباته منهم ونصحه لهم.

ومنها أنه لا يوبخهم بالشرك، لم يقل لهم: كيف تعبدون وتتخذون آلهة  
وهي لا تغني عنكم شيئاً، بل يجعل الأمر على نفسه ﴿ ءَأَخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً  
إِن يُرِدِ الرَّحْمَنُ ضَرْبًا لَّا تَغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ ﴾ [يس: ٢٣].

ومنها أنه يختار صفة الرحمن ترغيباً لهم ودفعهم للهداية.

ومنها رحمته بهم وشفقته عليهم مع أنهم قتلوه بالحجارة وهو يقول:  
﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

قال ابن عباس: نصح لقومه حياً وميتاً<sup>(١)</sup>.

يقول قتادة: إنه كان يقول وهم يرمونه بالحجارة: اللهم اهد قومي،  
اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن مسعود: إنهم وطئوه بأرجلهم<sup>(٣)</sup>.

وفي صفة النبي ﷺ وصحابته الكرام يقول ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا  
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي  
تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ  
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»<sup>(٥)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قَالَ ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي  
السَّمَاءِ»<sup>(٦)</sup>. ومن في الأرض شاملة حتى الكفار.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ

اللَّهُ ﷻ»<sup>(٧)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢/١٥.

(٢) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٥٠/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٧١/٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٦٧٥١).

(٥) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وأبو داود برقم (٤٩٤٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٣٠/٢.

(٦) رواه الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٤) وقال:

حديث حسن صحيح.

(٧) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، برقم (٦١٧٢).

عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»<sup>(٣)</sup>.

وعنه أيضاً قال: قال ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم»<sup>(٤)</sup>.



- (١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، برقم (٦٧٦٦).
- (٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق برقم (٦٧٦٧).
- (٣) رواه الترمذي برقم (٢٠١٣) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٥٠/٢.
- (٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب راحة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٣).

## المبحث الثاني

### معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف (أنموذجاً)

سورة الأعراف هي أطول سورة مكية (٢٠٦) آية، وهي في أصلها خطاب للنبي ﷺ في الفترة التي يدعو فيها كفار مكة إلى الإسلام، لذا هي سورة دعوية جاءت فيها قصص الأنبياء ودعوتهم إلى أقوامهم.

وجاءت مقدمة السورة ﴿ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئُنذِرَ بِهِ، وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسَعَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسَعَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلِيمٌ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢-٩].

فمن رحمة الله في الآيات السابقة إرسال النبي ﷺ وإنزال الكتاب، ومن رحمة الله بيان عقوبة الكاذبين في الدنيا، ومن رحمته ﷻ أن يقص لنا ذلك لنتعظ ونعتبر، ومن رحمته ﷻ بيان العاقبة الأخروية.

ومن رحمته ﷻ بيان فضله وتمكينه لنا في الأرض، وأيضاً مننه علينا التي توجب شكره ﴿ وَلَقَدْ مَكَتَكُم فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا

فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ [الإسراء: ١٠-١١].

ثم تسيير السورة في قصة آدم مع إبليس.

ومن رحمته بيان فضل الله علينا وعداوة الشيطان لنا الذي هو أكبر أسباب الضلال، وهو كان سبب خروج أبانا آدم من الجنة ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٣].

ورحمة الله تتردد في هذه السورة.

وفي سياق السورة ينادينا ربنا ﷻ نداءات بقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يَبْنَىٰ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يَبْنَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يَبْنَىٰ ءَادَمَ حُدُودَ زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نَفِصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ



أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يُفَضُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿[الأعراف: ٢٥-٣٥].

ينادينا ربنا ﷺ بقوله: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾ ورحمة الله تظهر في هذه النداءات من خلال بيان نعم الله علينا باللباس، وان معصيته ﷺ تنزع عنا هذا اللباس، وأن خير لباس التقوى.

والتحذير من الشيطان، وبيان خطورة القول على الله بغير علم، وبيان أن الله أوامره إنما هي بالقسط، وأن لا يأمر بالفحشاء، وإنما هو يحرم الفواحش ولا يحرم الزينة والطيبات، وأنه خالصة للمؤمنين يوم القيامة. وفي الختام يبين أهمية اتباع الرسل وعاقبة التقوى والصلاح.

كما يعرض محاجات أهل النار بعضهم لبعض ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] وهذا من رحمته ﷺ أن بين لنا مصير المكذبين، كما يعرض لمصير المؤمنين ﴿هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [٤١] وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الأعراف: ٤٢-٤٣].

فرحمة الله تتجلى في الآيات السابقة بالثناء على المؤمنين، وأنه ﷺ لا يكلف نفساً إلا وسعها، وعاقبة المؤمنين وبيان فضل الله عليهم بهدائيتهم.

ثم يعرض رحمة الله ﷺ في قصة أصحاب الأعراف ﴿أَهْوِلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

والمقسمون هم الكفار، أقسموا على بعض المؤمنين أو على أصحاب الأعراف ألا يدخلوا الجنة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفسير سورة الأعراف في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٢/٤٥٩).

وتمضي الآيات الكريمة بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢] فالقرآن الكريم هدى ورحمة.

ومن رحمته ﷻ كمال ربوبيته، وأنه ﷻ كما أنه الخالق وحده فهو الأمر وحده، ثم يدعونا ﷻ إلى دعائه، وبين ذلك بنهينا عن الفساد، وتختتم الآيات بمستحق رحمته.

يبين الله ﷻ عظمته وأن كل شيء بيده بلفظ الربوبية، ثم يدعو ﷻ إلى دعائه ورجاء رحمته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٤] ﴿٥٤﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

كما يعرف بنفسه ﷻ وبرحمته بإنزال الغيث ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٥٧] ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨] وهو مثل للمؤمن والكافر، فهو ﷻ ينزل الغيث، وهنا يضرب مثلين الأول للبعث وإخراج الموتى كإخراج الزرع، والآخر للمؤمنين والكافرين في الإفادة من القرآن الكريم، فالؤمنون كالأرض الطيبة التي تستتبت من الغيث والكافر كالأرض السبخة.

وهذه الأمثال من رحمة الله بعباده وبيان الحق لهم، وهي مقدمة لقصص الأنبياء.

ثم تمضي الآيات الكريمت إلى قصص الأنبياء، وقد ساق الله القصص

= وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٢١/٣). والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢١٤/٧) في تفسير الآية.



القرآني للأنبياء للعبارة والافتداء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ  
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فبدأ بقصة نوح عليه السلام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا  
لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ  
إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ  
الْعَالَمِينَ (٦١) أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)  
أَوْعَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  
(٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ  
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

نتأمل معالم الرحمة في دعوة نوح عليه السلام، فهو يخاطب قومه ويتلطفهم  
يقول: ﴿قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأعظم الرحمة أمره لهم بالخير، وأعظمه عبادة الله  
وحده، وبيانه عليه السلام، أن ليس لهم إله غيره، وبين مظاهر رحمة نبي الله بهم،  
وخوفه عليهم من عذاب الله. ومع ذلك كانت إجابتهم جانبية الأدب، إذ  
يصفونه بالضلال المبين، وكان رده عليهم مظهرًا آخر من مظاهر الرحمة،  
حيث لم يجبههم بأنهم ضلال، ولو قال ذلك لكان حقًا، ولكنه بكل رحمة  
يستلطفهم بقوله: ﴿قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم يبين أن دافعه إبلاغ الرسالة، ونصيحته لهم، كما بين لهم خطأ  
تعجبهم أن يأتيهم ذكر من ربهم على رجل منهم، فهو ذكر من ربهم وعلى  
رجل منهم ليس من غيرهم ومقصوده إنذارهم وحصول التقوى منهم  
وحصول الرحمة لهم فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

ونتأمل قوله عليه السلام: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ أي: أقصد صلاحكم بإخلاص وفي  
زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح إرادة  
الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو النهاية في صدق العناية<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٥٧٧/١.



وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ ونوح عليه السلام في موضع آخر وهو يناجي ربه يقول:  
﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم  
وأصروا وأستكبروا أستكباراً﴾ [نوح: ٧] فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

وفي قصة عاد ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيرة  
أفلا تتقون﴾ (٦٥) قال المملأ الذين كفروا من قومهم إنا لنرى لك في سفاهة وإنا  
لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب  
العالَمين (٦٧) أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) أو عجبتم أن جاءكم  
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد  
قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩) قالوا  
أجئتنا لنعبد الله وحده، ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأنا ننا بما تعبدنا إن كنت من  
الصادقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في  
أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فأنظروا إني معكم  
من المنتظرين (٧١) فأنجيته والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا  
بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ [الأعراف: ٦٥-٧٢]. نلاحظ رحمة هود عليه السلام على قومه.

فنلاحظ قول المولى عليه السلام: ﴿أخاهم هوداً﴾ وهذا له مدلوله من الاستعطاف  
والنصح، ثم هو يدعوهم إلى الخير وأعظمه عبادة الله وحده ويحثهم  
على التقوى، كما بين لهم دوافعه وهو قيامه بالبلاغ والنصيحة لقومه.

نفس المشهد يتكرر، يقولون له: ﴿إنا لنرى لك في سفاهة﴾ وهو يرد عليهم  
بكل أدب ورحمة: ﴿ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾  
كما بين لهم الباعث له البلاغ والنصيحة ﴿أبلغكم رسالت ربي وأنا لكم  
ناصر أمين﴾ ويرغبهم بالإيمان، ويذكرهم بنعم الله عليهم ﴿فاذكروا آلاء  
الله لعلكم تفلحون﴾.

وفي قصة ثمود تتكرر كثير من المشاهد يقول عليه السلام: ﴿وإلى ثمود



أَخَاهُمْ صَدِيقًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمِيمَ بَيْنَتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَبُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا نَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٤].

نلاحظ تكرار كثير مما سبق من استعطافهم والنصح لهم، ونلاحظ أيضاً مظاهر أخرى للرحمة بذكر البيئات التي أعطاها الله إياه ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾، ويخوفهم من عذاب الله وما ذاك إلا رحمة بهم. وهو يذكرهم أيضاً بنعم الله عليهم ﴿فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا نَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وبعد نزول العذاب عليهم يخاطبهم نبيهم صالح بكل رحمة وشفقة ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وفي قصة لوط عليه السلام، يخاطب قومه بكل شفقة: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وفي قصة مدين ﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمِيمَ بَيْنَتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥-٨٦].

سماه الله ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وهو يبين لهم أن ما يأمرهم به هو خير لهم، ويذكرهم بنعم الله عليهم، ويخوفهم من عاقبة المفسدين.

وفي النهاية، وبعد نزول العذاب ﴿ فَنَوَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمِ لَقَدْ أَبْغَضْتُكُمْ  
رِسَلتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٣].

ومن رحمته أنه يصيب الأمم بالبلاء حتى يعودوا إلى ربهم ﴿ وَمَا  
أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾  
[الأعراف: ٩٤]، قال الطبري رحمته: هو البؤس وشظف المعيشة وضيقها،  
والضراء: الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم، وقال القرطبي رحمته:  
البأساء في الأموال، والضراء في الأبدان.

قال الطبري رحمته: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه  
وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم.

فهذا البلاء هو من الرحمة ليعودوا إلى ربهم كما قال رحمته: ﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ  
مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١].

ومن ذلك ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ  
يَذْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال القرطبي رحمته: ليتعظوا وترق قلوبهم.

وفي قصة موسى من معالم الرحمة.

فمن رحمة الله ما أعطى الله موسى من بينات ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا  
أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾  
[الأعراف: ١٠٥] وبعد أن رأى قومه يعبدون العجل، موسى نفسه يتعرض  
لرحمة الله ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ  
الرَّحِيمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

كما أن الرب بعد أن توعد عبدة العجل فإنه رحمته بين رحمته وقبول توبة  
عباده، ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا  
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وبين الله ﷻ ما في الألواح من رحمة وهدى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٤].

وها هي الرحمة تتكرر مرة أخرى في دعوة موسى بعد أن أخذت قومه الرجفة ﴿وَإِخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ونتأمل دعاء موسى ﷺ وخطابه لله ﷻ، وجوابه ﷻ، ونتأمل ما فيها من تكرار الرحمة ﴿وَإِخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

فلنتأمل هذه العبارة العظيمة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾. قال البغوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أي: عمت كل شيء<sup>(١)</sup>. وقال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة<sup>(٢)</sup>.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢٣٨/٢.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٢٣٨/٢.

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾: «الآية عظيمة الشمول والعموم»<sup>(١)</sup>.

وقال السعدي رحمته: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، لكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد ولهذا قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]<sup>(٢)</sup>.

ثم أتى ﷺ على المتبعين للنبي ﷺ وهي بشارة به، وبيان أنهم يستحقون رحمة الله.

وفي قصة أصحاب السبت الذين عصوا الله بالصيد في يوم السبت فقامت طائفة بنصحهم، وهناك طائفة ثالثة قالت للناصحين: اتركوهم إنهم مهلكون، فأثنى الله على أولئك الناصحين وبين نجاتهم ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

فتأمل مظاهر الرحمة في نصح الناصحين في قولهم: (ولعلمهم يتقون) قال ابن كثير: «ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم»<sup>(٣)</sup>.

ومع ذكر القرآن مخازي بني إسرائيل وعصيانهم فإن الله يفتح باب الرحمة ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبْكُ لِبِعْتَنَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٨١/٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ٣٠٥/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٩٤/٣.



ومن رحمته ﷺ دلالته لهم عليه بالنظر في حال النبي ﷺ، وأيضاً في ملكوت السموات والأرض وتخويفهم من اقتراب أجلهم ﴿ أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا مَا يَصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿ الأعراف: ١٨٤-١٨٥﴾ .

وكذلك بيان حال هؤلاء الشركاء وضعفهم وعجزهم ليوحدوا الله ﷻ، بعد أن ذكر ﷺ إشراك الأولين به في خلقه مع أنه هو الذي خلقهم ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لِيْنِ ءَاتِيَنَنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اهْتَدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ءَدَعْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿ الأعراف: ١٨٩-١٩٥﴾ .

فلنتأمل هذا البيان الشافي الكافي من ربنا ﷻ في ضعف وعجز الشركاء.

ثم مظاهر الهداية بالموعظة والتذكير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿ الأعراف: ٢٠١﴾ .

وفي ختام السورة تتجلى الرحمة في مواقع منها توجيه للنبي ﷺ في دعوته ومكابدته للكفار المعرضين ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿ الأعراف: ١٩٩﴾ .

قال الطبري رحمه الله: أمر بذلك نبي الله ﷺ في المشركين ورجح أنه غير منسوخ فيمن لم يؤمر بقتالهم<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: ﴿ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجمعة: آية: ٢٠] ثم الرحمة في استماع القرآن ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].



## الخاتمة

فإني أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا:

١. أهمية الدعوة إلى الله في إقامة الدين.
٢. وجوب الدعوة على هذه الأمة وفضلها على أفرادها.
٣. الرحمة من أهم صفات الله تعالى.
٤. القرآن الكريم وبعض كتب السماء رحمة وهدى.
٥. دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانت رحمة وبالرحمة، لا سيما دعوة النبي ﷺ طابعا الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).
٦. أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله تعالى.
٧. تبين سورة الأعراف ظهور الرحمة في آيات السورة ومعانيها وقصص الأنبياء.

### التوصيات:

كما نوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

- ١ . العناية بالرحمة في المؤتمرات العلمية والبحوث والكتب والندوات الثقافية لتثقيف أمتنا بهذه المعاني السامية في الأوساط الثقافية.
- ٢ . أهمية غرس الرحمة من قبل المعلمين والمربين والآباء في نفوس النشء.
- ٣ . ضرورة عناية الدعاة بخلق الرحمة في دعوتهم لما لها من أهمية بالغة حث عليها الشرع المطهر.
- ٤ . ضرورة عناية وسائل الإعلام بموضوع الرحمة في الأمة.
- ٥ . أهمية عناية المساجد في الخطب والدروس بغرس الرحمة وتوجيه المسلمين لها.



## المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.
٢. التحرير والتوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٢هـ.
٣. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.
٤. التفسير القيم، لابن القيم الجوزية، دار مكتبة الهلال،.
٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
٦. تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٩. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.
١٠. الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١١. الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، حمزة سليمان الطيار، موقع طريق الإسلام،
١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط. ت.
١٣. سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- ١٤ . سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ١٥ . صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- ١٦ . صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ١٧ . الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- ١٨ . الطبقات الكبرى، ابن سعد.
- ١٩ . في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٧هـ.
- ٢٠ . القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ٢١ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٢٢ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٣ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.
- ٢٤ . مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي
- ٢٥ . المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.



٢٦. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د. ط. ت.
٢٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
٢٩. مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، .
٣٠. منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.

